لولا أناغنوستاكى

لقاء فى الليل

قـدمت «لقـاء فى الليل» أول مـرة ، مـع مـسـرحـيـتى «المدينة» و«الاستعـراض» فى سهرة واحدة بعنوان «المدينة» على مـسرح «الفن» بأثينا فى مايو عام ١٩٦٥ .

الشخصيات

مـيـمى : فى حوالى الأربـعين من عمره ، من النظـرة الأولى إليه يبدو عليه «عدم الاكتراث» ، وعصبيته لاتبدو لها دلائل خارجية قوية .

صـوفـيـا : فى السـادسة عشـر من عمـرها . لا تهدأ حـركتـها ، صـفيـقة ، تكاد تكون عـدوانية الطابع ، وفـيهـا شىء شيطانى نفعى داخل تفاهة وجودها اليومى .

العـجـوز : عجوز رقيقة حنون . حركتها بطيئة متشنجة .

(غرفة ذات أثاث غير متجانس ، من بقايا مختلف المستأجرين الذين مروا بها فى أزمان متفرقة .

أريكة فسيحة ، منضدة سرير ، دولاب لأدوات المائدة ، مدفأة حديدية . فى الوسط منضدة عليها مصباح كهربائى بغطاء مهدب الحواشى . النور مضاء . دولاب صغير ذو أرفف ، وبضعة كراس . الباب الرئيسى إلى اليمين يطل على العتبة . وعندما يفتح يبين الممر الخارجى والدرجات الأولى لسلم يقود إلى الطابق الأعلى.

على اليسار باب آخر يقود إلى المطبخ .

عندما يفتح الستار تبدو العجوز مولية الجمهور ظهرها ، منحنية على الدولاب الصغير ذى الأرفف . تسمع موسيقى منبعثة من أرغن صغير . تستدير العجوز ببطء نحو الجمهور . يتضح الآن إنها تمسك ساعة قديمة تصدر عنها الموسيقى . ترفع الساعة ببطء إلى أذنها . تبتسم ابتسامة خفيفة . تخفض الساعة عن أذنها وتوقف الموسيقى . وبقطعة من قماش تمسك بها فى يدها تنظف الساعة . ثم تشرع بحركات بطيئة عقيمة فى تنظيف الأثاث . تستدير وتنظر إلى المصباح المضىء . ترفع قليلا يدها ممسكة بقطعة القماش ، كما لو كانت تريد أن تنظفه، ولكنها تعدل عن ذلك وتغمض عينيها قليلا ، وتخفض يدها . بحركات وئيدة تكاد تكون آلية تمضى إلى المدفأة الحديدية ، وتحاول أن توقدها .

يدق الجرس . وبذات الخطوات تذهب إلى الباب وتفتحه . تدخل صوفيا . ترتدى معطفا سميكا ومنديلا على رأسها ، وتحمل حقيبة يد ، وحقيبة سفر كبيرة) .

العجوز : (بعذوبة ، مبتسمة ابتسامة واهية ، وبصوت ناعم) مساء الخير ، تفضلى .

صوفيا : (دون أن تتحرك . بارتباك قليل) من يسكن هنا ؟

العجوز : (على ذات حالها) تفضلى . إنه ينتظرك . ينتظرك أنت . (تخطو صوفيا داخلة) تأتين من بعيد ؟ (تنظر إلى الحقيبة) ضعى حاجاتك هنا . تبدين متعبة . لحظة ، سوف أناديه .

(تمضي خارجه من باب المطبخ . تجيل صوفيا بصرها فيما حولها . تخلع المنديل وتنفض شعرها . تعود العجوز بمظهرها السابق) .

العجوز : سيحضر بعد دقيقة ، أما أنا فسأبادر بالانصراف . رتبت الغرفة . وأوقدت لكما المدفأة . بعد قليل سيسرى الدفء . (تجيل بصرها فيما حولها) يطيب الجلوس هنا . أما أنا فسأصعد إلى فوق . أقيم بالطابق الأول ، مع ابنتى. نحن وحيدتان . (تقترب منها قليلا ، كما لو كان تريد أن تتفحصها) كم أنت جميلة ؟ ابنتى دميمة . تغلق الباب على نفسها ، وتجلس طوال النهار فى غرفتها . لا تريد الخروج لأنها دميمة . هى دميمة ، ابنتى المسكينة الصغيرة (يدخل ميمى من الباب الأيسر) .

ميمى : (إلى صوفيا) آه ، جئت ؟

صوفيا : أخيراً ! اعتقدت أننى لن أجد البيت أبداً .

العجوز : إنى أنصرف . أنصرف (تذهب حتى الباب . تتردد ، تلتفت نحوهما مبتسمة) . ستخبز ابنتى فطيرة الليلة . أنها تخبز فطيرة يوم الأحد . طعمها لذيذ جداً . إذا أردتما ، ولم يكن لديكما ما تفعلانه ، تعاليا فى التاسعة لنشرب الشاى ، ولتتذوقا الحلوى التى تصنعها ابنتى (تخفض راسها وتهزها كما لو كانت تشجعهما) تعاليا . .

(تخرج)

صوفيا : من هذه ؟

ميمى : (بحركة مبهمة) عجوز تقيم بالطابق الأول .. تأتى من وقت لآخر لترتب الشقة . تقولين ، وجدت البيت بمشقة ؟

صوفيا : (ثائرة الأعصاب) مشقتى لا تكفى الكلمات لوصفها . (تجيل نظرها فيما حولها من جديد) يالها من غرفة كريهة ... تقيم فى أقصى الدنيا ، هيه ؟ كل هذه الأزقة الضيقة ، متاهة حقيقية . ويالسخف تلك الفكرة ، فكرتك ألا أجىء معك ، بل انتظر نصف ساعة قبل أن أتحرك قادمة .

ميمى : لم أكن أريدهم أن يروننا .

صوفيا : هل عليك أن تقدم حسابا لأحد ؟

ميمى : لا أحب الأقاويل . ليس للناس من عمل سوى ترديد الأقاويل .

صوفيا : ولهذا وجب على أن أتحمل كل هذه المشاق ، تحت المطر، باحثة عن بيتك ؟

ميمى : رسمت لك موقعه .

صوفيا : لا أفهم مثل هذه الرسوم . لا أجد طريقى على هديها بسهولة . لو كنت ذكرت لى اسمك على الأقل لسألت أحدا عنك .

ميمى : أرجو ألا تكونى قد سألت .

صوفيا : أى نكتة هذه . عم أسأل ؟ عم إذا كان يسكن بالقرب من هنا شاب طويل القامة يرتدى بلوفر ، واذكر لمن أسأل أوصافك ؟

ميمي : هيا ، اخلعي معطفك كي يجف من البلل . (ينحني على المدفأة محاولا أن يشعلها من جديد) .

صوفيا : بالطبع سأخلعه ، وسأخلع أيضا جوربي وحذائي . إني مبتلة تماماً . انغرست في الوحل حتى ركبتي . (تجلس أمام المدفأة ، وتشرع في خلع حذائها) ما الذي سول لك أن تسكن في هذا الحي ؟ أهذه شوارع ؟ ألا يضعون على الأقل مصباحًا يرى المرء على ضوئه أين يطأ قدمه ، وإن كنتُ أعتقد أن مدينتكم كلها ليست أفضل من هذا الحي . إنها لم تعطني انطباعا حسنا قط . قل لي ، أهي مطيرة هكذا مطرا لا ينقطع على الدوام ؟ منذ وطئت قدمي مدينتكم ، وهذا الجو السيء لم يتوقف . إسمع ، ألديك شيء من الملابس تعطينيه كي أرتديه ؟ سترة ، بيجاما مثلا ؟ (ينهض ميمي ، ويخرج من الباب الأيسر . بينما تمضي صوفيا تقول) لا أريد أن افتح حقيبتي من أجل ليلة واحدة . (في هذه الاثناء تكون قد خلعت معطفها وحذاءها وجوربها . تخرج من جيبي المعطف الكبيرين خفين قطيفيين وترتديهما . يحضر لها ميمي ثوبا نسائيا) من صاحبة هذا الثوب ؟

ميمي : زوجتي . اختلط ثوبها بأشيائي .

صوفيا : زوجتك ؟ أنت متزوج ؟

ميمي : (يلتفت إلى الثوب) كنت .

صوفيا : (تلعب إلى جواره وهي ترتدي الثوب) آه ، لماذا تقول كنت؟ هل ماتت ؟

ميمي : افترقنا .

صوفيا : بالطلاق؟

ميمي : (مجاهداً كي تشتعل المدلاة) كلا .

صوفيا : إذن ، أنت متزوج . أفهم الآن السبب فى هذه الاحتياطات . أرجو ألا اتعرض لمتاعب ، أنا فى غنى عنها .

ميمي : (يستدير وينظر إليها) أى متاعب ؟

صوفيا : من أين لى أن أعرف ؟ للشيطان سيقان كثيرة . ربما كلفت زوجتك أحدا بأن يتعقبك ، كى تحملك أنت مسئولية الطلاق . ألا يحدث ذلك فى مثل هذه الحالات؟ وعلى الأخص ، إذا كانت قد لمحتنى عين أدخل إلى هنا ، فكم سيصعب أن نعلل سبب وجودى عندك وارتدائى هذا الثوب . ثم أننى قاصر ، هيه ؟ لا تنس ذلك . .

ميمي : شط عقلك بعيدا جداً .

صوفيا : آه ، أنا أفكر فى كل شيء . لأننى لو لم أفكر فى أمورى ، فمن سيفكر فيها غيرى . والآن ؟

ميمي : الآن : ماذا ؟ . . ليس ثمة ما يبرر أن تقلقى . لن يضايقك أحد .

صوفيا : أهو أمر مؤكد ؟

ميمي : (غاضبا) آه ، أنت لا تطاقين ! ماذا تريدين ، أن أوقع لك تعهداً ؟

صوفيا : حسنا ، حسنا ، لا تغضب . (تأخذ ثيابها وتنشرها أمام المدفأة) هل تسمح بذلك ؟ انظر ، سأنشرها هنا كى تجف . تحسن صنعا بإيقاد المدفأة . ربما لم يحن موسم إيقاد المدافىء بعد ، لكنى أحب الدفء . وثمة رطوبة تخترق العظام . آخ ، تخشبت يداى . تريد أن أساعدك ؟

ميمى : كل شىء على ما يرام . اشتعلت .

صوفيا : حسنا ، سيدب فينا بعض الدفء . (تمد ساعديها نحو النار) حقا ، ما اسمك ؟

ميمى : ميمى .

صوفيا : ميمى فقط ؟ واسم الأب ؟ (لا يجيب) فهمت ، لاتريد أن تخبرنى باسمك كاملا . وعلى الرغم من كل ما تقول ، تخاف ، لأنك متزوج . . ومن أين لى أن أعرف ؟ ربما كنت تكذب إذ تقول إنك افترقت عن زوجتك . ربما كانت على سفر . وربما كنت تستأجر هذه الغرفة كى تستقبل فيها زوارك . لكن ، كلا ، هذا أمر يكاد يكون مستبعدا ؛ لأنك ما كنت ستكدس كل هذا الأثاث فيها . على كل حال ، شىء واحد أريد أن أوضحه منذ البداية ، لستُ ممن تظن أننى منهن ، لأنك دعوتنى للحضور إلى بيتك وقبلت فورا . لا أحب أن أنام وحدى فى الفنادق . شبعت منها . هذا كل ما فى الأمر . لماذا تنظر إلى على هذا النحو ؟

ميمى : على أى نحو أنظر إليك ؟

صوفيا : (بضراوة) سيكون الأمر طريفا لو كنت قد ندمت من الآن على إحضارى إلى هنا . إذا كنت تضجر منى سأنصرف. تكلم هل تريدنى أن أنصرف ؟

ميمى : الأمر سيان بالنسبة لى .

صوفيا : أنت رجل غامض . . . (تذهب إلى الأريكة وتجلس عليها) على الرغم من ذلك فإنك توحى إلى بالثقة ، ربما لأنك تبدو أكبر سنا منى بكثير . كم سنك ؟ أربعون ؟

ميمى : تقريباً .

صوفيا : (تهز ساقيها بانتظام) أرأيت ؟ من بين كل الرجال الذين كانوا يقفون خارج المحطة، اخترتك أنت ، واقتربت منك أسألك أين يمكننى قضاء ليلتى . وعندما قلت لى «فى بيتى» تبعتك فورا . كان باستطاعتى على أى حال أن أتحدث إلى أحد الشبان ، أليس كذلك؟ كان هناك شاب يرتدى بلوفراً أحمر ، ويتظاهر بقراءة مجلة رياضية ، بينما كان يلتهمنى بنظراته . وعندما نهضت مبتعدة ، مضى يتعقبنى . صدقنى .

ميمى : مضى يتعقبك ؟ لا أعتقد أنه تبعك إلى هنا .

صوفيا : كلا . بطبيعة الحال . إنك خائف حقا ! كلا ، كلا ، لم أكن أريد مشاكل . رمقته بنظرة شرسة ، فعاد إلى مكانه . (تبتسم) كان وسيمًا . ربما اخطأت إذ لم أحدثه . ما رأيك ، هل اخطأت ؟

(يتناول ميمى الساعة الموسيقية بين يديه ويتحسسها بأنامله) .

ميمي : لم أسمع . ماذا قلت ؟

صوفيا : أرى ذلك . أنت منشغل البال (تنهض واقفة) كم غرفة لديك ؟

ميمي : هذه . إنك لم تدخلي قصرا .

صوفيا : (تضحك) ليست هذه غرفة قصرا على أية حال ، إنها بهو . المكان فسيح، لا أنكر ذلك . . (تذهب إلى اليسار) إلى أين يقود هذا الباب ؟

ميمي : إنه يقود إلى المطبخ والحمام .

صوفيا : حسن أن يكون لديك حمام . أهناك ماء ساخن ؟

ميمي : كلا . . لكن إذا كنت تريدين ، أسخن لك ماء .

صوفيا : هيه . . كنت أريد أن أغسل شعرى . . لكن ، دعك من ذلك . . ليكن ذلك فيما بعد . . الآن ، أريد أن أستريح . إذن ، هذا بيتك كله . هنا ، كنت تعيش مع زوجتك ؟

ميمي : كلا ، كنا نستأجر بيتا آخر . أوسع من هذا بقليل .

صوفيا : هل أنت فقير ، هيه ؟ ألهذا هجرتك ؟

ميمي : من ؟

صوفيا : زوجتك .

ميمي : هل قلت لك أنها هجرتنى ؟

صوفيا : هذا ما فهمته . ما هو عملك ؟

ميمي : ليس بالعمل المهم .

صوفيا : وماذا يعنى ذلك ؟

ميمي : أعمل في دكان . يبيع عاديات ، وأشياء أخرى صغيرة من بقاع مختلفة . لا تساوى أغلبها مليما . لكن هناك أيضاً أشياء صغيرة جميلة . انظرى ، مثل هذه . . . (يقترب منها ويريها الساعة التي يحملها) .

صوفيا : ما هذه ؟

ميمي : ساعة . (يشغل العدة فتسمع الموسيقى . ينصت الاثنان بضع ثوان صامتين) من الذهب منقوشة ، وبالميناء مطلية بيد صانع ماهر من القرن الثامن عشر في قرية صغيرة خارج نورمبرج . عددها بطبيعة الحال تالفة .

صوفيا : أهي غالية الثمن ؟

ميمي : بالنسبة لي غالية جداً . (يضعها على رف الدولاب ويتأملها بإعجاب) وضعت عيني عليها منذ البداية . كلفتني مرتب شهرين . اشتريتها بالتقسيط طبعا .

صوفيا : وهذا الشيء هناك ؟

ميمي : هذه محارة من ماراكيبو .

صوفيا : كبيرة إلى هذا الحد ؟

ميمي : ضعيها على أذنك . ماذا تسمعين ؟

صوفيا : هديرا .

ميمي : كما لو كنت في البحر ، هيه ؟

صوفيا : صدقت - وريح تهب أيضا . . . من أين جاءت هذه ، قلت ؟

ميمي : من ماراكيبو .

صـــوفـيـــا : آه . . . وهذا الخنجر ؟

مـــيـــمـى : الخنجر ؟ كـلا ، لم أشتره من الدكـان . أهداه لى أحد الأشخاص . إسبانى ، من توليدو .

صـــوفـيـــا : (تجربه) إنه حاد النصل .

مـــيـــمـى : (يبتعد عنها) أتريدين أن تأكلى شيئا؟ أن تشربى ؟ (يذهب إلى دولاب أدوات المائدة ، ويفتحه ، يخرج زجاجة كونياك وقدحا) .

صـــوفـيـــا : لا أشعر بالجوع هذه اللحظة . لكن إذا قدمت لى قدحا ساخنا تناولته راضية . (تتجول وتتأمل المكان والأشياء من حولها) ماذا عندك ؟

مـــيـــمـى : كونياك ، قهوة ، شاى .

صـــوفـيـــا : عندك لبن ؟

مـــيـــمـى : أجل (يشرب قدحه جرعة واحدة) اجلسى ، سوف أحضر لك طلبك (يملأ قدحا ثانياً ويخرج من اليسـار . تمضى صوفيا وقد ظلت وحدها تتأمل الغرفة . ترفع صوتها كى يسمعها ميمى) .

صـــوفـيـــا : ألا يمكن تهوية هذه الغرفة من مكان ما ؟

مـــيـــمـى : (من خارج المسرح) اجذبى الستائر الموجودة فوق الأريكة.

صـــوفـيـــا : آه ! ياله من فناء جميل ! ما اسم هذه النباتات ؟

مـــيـــمـى : غليسينيس .

صـــوفـيـــا : غليسينيس . اسم جميل . لما لا تترك النافذة مفتوحة ؟

مـــيـــمـى : (يدخل حاملا قدح اللبن) لا أريد أن يتسلى الجيران بالنظر إلى . اغلقيه !

صـــوفـيـــا : الجيران ؟ من غيرك يسكن هنا ؟

مـــيـــمى : لا أعرف . أنا حديث العهد بهذا البيت .

صـــوفـيـــا : لو كنت أنا لعرفتهم جميعا فى يوم واحد . يطيب لى أن أتكلم مع الناس . (كانت فى سيرها قد اقتربت مما يبدو أنه ستارة تجذبها) آه ، نافذة أخرى . ما هذه الأنوار ؟

مـــيـــمى : الأحياء القديمة .

صـــوفـيـــا : أيضيرك أن أتركه مفتوحا هنيهة ، كى أنظر إلى الخارج ؟ (تتناول قدح اللبن) غدا ، سأتجول فى المدينة . مادمت قد وجدت بها فلأتعرف عليها . لن أخسر شيئا . ربما راقت لى أيضا . هذا شأنى دائما . فى البداية ، يبدو لى كل شىء سيئاً ، ثم أتعود . مثلما حدث لى فى هذه الغرفة. ما أن دخلت حتى قلت لنفسى. كيف يمكن أن يعيش أحد هنا ، اما الآن فقد تعودت عليها وانتهى الأمر . ماذا تشرب أنت ؟

مـــيـــمى : كونياك !

صـــوفـيـــا : تعبه عبا ، كما يقولون . إنه مستحب فى هذا البرد ، هيه ؟ فى ألمانيا يشربون كثيرا ، كل المشروبات . (عادت تجلس على الأريكة من جديد ، وتشرب لبنها رشفة رشفة) قضيت ثلاث سنوات فى ألمانيا . من هناك جئت . أوه ! أجلس وأحكى لك أمورا كثيرة عنى ، وأنت لا تبدو أنك تكترث بها كثيرا . ولكن ها أنا أحمل معى حقيبة ضخمة ، ألا يجدر أن تعرف السبب ؟ إنى قادمة من سفر بعيد . كنت مع أمى . قد تسأل كيف تواجدت

امرأتان في ألمانيا . إنها قصة طويلة . كان أبى قد ذهب إلى هناك ليعمل ، وذلك منذ أمد بعيد . سافر دون أن يخبر أحدا ودون اكتراث بنا . وفجأة ، منذ ثلاث سنوات تلقينا خطابا منه ، يدعونا للحضور إليه . بعنا كل ما لدينا ، بعض الأثاث القديم وما شاكل ذلك وانطلقنا إلى المانيا . ولكن عندما وصلنا إلى العنوان الذى كتبه لنا أبى اختفى . انشقت الأرض وابتلعته ، ولم يعد لدينا مال نعود به . لأننا أنفقنا فى البحث عن أبى كل شىء . وفى النهاية وجدت أمى عملا عند بعض الأمريكيين واستقر بنا الحال . وعدت أنا الآن إلى اليونان (ترفع كتفيها) يجب أن أنزل إلى اثينا لأقيم عند خالة لى . لكننى مللت أن أبدأ كل شىء من جديد . اتعرف . كما سبق أن قلت لك من قبل ، سأقوم بجولة فى المدينة ، وإذا راقت لى ، ربما استقر بى المقام هنا . لكن الأمر سيحتاج أن أجد عملاً . ألن تساعدنى أبداً؟ .

ميمى : من الصعب أن تجدى عملا فى مدينة صغيرة .

صوفيا : فى هذا الدكان الذى تعمل به ، ربما احتاجوا إلى فتاة . أعرف الألمانية وقليلا من الإنجليزية .

ميمى : لا تتصورى الأمور على هواك . ليسوا بحاجة إلى مستخدمين . لديهم مافيه الكفاية .

صوفيا : لكن قد يعرفني صاحب الدكان الذي تعمل به بآخرين . لن تخسر شيئا لوأخذتني كي أتعرف به . هل آتي معك صباح غد ؟

ميمي : صباح غد ؟ لن أذهب غدا صباحا .

صوفيا : إذن ، صباح بعد غد ؟

ميمي : ولاصباح بعد غد . إني لا أذهب إلى هناك هذه الأيام . لدي إجازة.

صوفيا : إذن ، فلنمر لمجرد أن تعرفني به .

ميمي : (وقد فرغ صبره) كلا ، هذا لا يمكن .

صوفيا : ألا تريد أن تساعدني ؟

ميمي : قلت لك . هذا لا يمكن .

صوفيا : إذن ، مادمت بإجازة ولديك وقت ، ستأخذني إلى واحد من معارفك الآخرين .

ميمي : ليس لدي معارف .

صوفيا : آه ، فهمت ! لا تريد . ربما تخشى أنني أنوي أن أبقى هنا ، وأصبح عبئا عليك . أظن أنني قلت لك من قبل، لست من أولئك اللاتي تظن أنني منهن .

ميمي : لا أظن شيئا .

صوفيا : كيف ، كيف ، من أولئك اللاتي يدعوهن رجل إلى بيته لقضاء بعض الوقت . وإذا بها قد التصقت به مثل دودة مصاصة دماء . تصورتني من الفتيات سيئات السمعة اللاتي يحصلون عليهن من مقاهي المحطات .

ميمي : لم أتصور شيئا . ولا حتى يعنيني هذا الأمر .

صوفيا : لكنه يعنيني أنا ! حياتي نقية مثل البللور . ولست بحاجة إلى عون من أحد . لست مفلسة . عندي ما يكفيني لمدة شهر ونصف على الأقل . أخرجت أمي كل ما في كيسها وأعطته لي . هل فهمت الآن ؟

ميمي : (ثائر الأعصاب) قلت لك لا يعنيني هذا الأمر في شيء ! وكفي عن الاحتجاج دون سبب . إنك مزعجة . تزعجينني .

صوفيا : حسنا . إذن ، فلأرحل . ليس عليك سوى أن تقول لي ذلك بصراحة .

ميمي : ترددين وترددين الأقوال ذاتها ! منذ اللحظة التي دخلت فيها ، وأنت تتكلمين عن الرحيل .

- صمت -

صوفيا : أنت محق . ربما كنت مزعجة . لكن ضع نفسك مكاني . لا أعرف كيف أتصرف نحوك . لم أعرف بعد ماذا تريد مني . أعتقد أنك . . .

ميمي : ماذا اعتقدت ؟

صوفيا : لاشيء . (برهة صمت قصيرة) ماعدت أسمع المطر . تريد . . ربما تريد أن تخرج في نزهة . أليست هذه فكرة طيبة ؟ في طريق مجيئي لمحت محلا لبيع الحلوى ، بالقرب من هنا . لابد أنك تعلم عن أي محل أتكلم . هلا ذهبنا إليه نتناول شيئا ؟

مـــيـــمى : إننى لا أذهب أى محال بيع الحلوى . فيها ضجيج كثير، وأدخنة ، والجميع يتكلمون معا وبصوت جهورى . .

صـــوفـيـــا : إذن ، فلنبق هنا . فى الحقيقة ، أنا أحب الصخب - وليس ذلك لأنى أجد فيه متعة ، بل لأنى بغيره أضجر، ولا أعرف ماذا أفعل . فى ألمانيا ، فى الأيام الأولى ، كنت على الدوام وحدى . كنا نسكن فندقا قديما . كان صفا من الغرف تطل على ردهة مديدة ضيقة . غرفتنا فى طرفها القصى بجوار دورة المياة . كانت أمى متغيبة طوال النهار . لم أكن أعرف كيف أمضى وقتى . عانيت عزلة موحشة ، لا يمكنك أن تصدق ! اسمع الآن ، عم تفتق ذهنى ! كنت أجلس وراء الباب ، وانتظر أن يذهب أحد إلى دورة المياه . وما أن أسمع خطواته تمر بالخارج ، أفتح الباب قليلا وأتحدث إليه . أقول له «مساء الخير» كيف حالك ؟ » يقف البعض ونتجاذب أطراف حديث قصير ، على أن البعض الآخر أيضاً كان ينتابهم الخجل - لأنى باغتهم ذاهبين للتبول ، وكان يتصادف ارتداؤهم ملابس النوم ، فكانوا يجرون مهرولين إلى دورة المياه . (تضحك) كانوا جميعا تجارا من الأقاليم. نزلاء عابرين. كنت أنا وأمى الوحيدتين اللتين تستأجران غرفة بالشهر - كلا. ليس هذا صحيحا ، كانت هناك امرأة أخرى أيضا . هل تتابعنى ؟

مـــيـــمى : كيف ، أجل !

صـوفـيـا : كانت تقطن غرفـة فى الطرف الآخر من الردهة . عندما أتذكرها يقشـعر بدنى . كانت طويلة ونحيلة مـثل عصا البليارد . ترتدى ثوبا باهتا ، لازلت اراه امامى ، بزهور حمراء ، أمـا رأسها . . (تنهض) انتبه ، فـالأمر جدير بالاهتمام ، رأسـها كله فكان ملفوفـا بالضمادات . ولا يبدو من وجهها سوى عينيـها وقليل من فمها فحسب . كنت أتعرف عليـها عندما أسـمعهـا تمر ذاهبة إلى دورة المياه ، وذلك من صوت خفيها اللذين كانا يزحفان على الأرض زحـفـا لينا . وكنت أغلـق على نفـسى البـاب بسرعة . كـان الخوف يتتابنى . لاتستـهن بهذا الأمر . ذات مرة رأيتـها فى نومـى . كان كابوسـا . وأنت ألا ترى فى نومك كوابيس ؟

مـيـمى : أحيانا .

صـوفـيـا : ماذا ترى ؟ قل لى .

مـيـمى : أشياء مألوفة .

صـوفـيـا : آخ ، قل لى ، يروق لى أن أسـمع . إنى أجـزع منهـا لكنى أفتن بها ! عنـدما كنت صغـيرة ، كنت ألعب مع سائر الأولاد لعبة «الخوف» أتعرفها ؟

مـيـمى : كلا . إنها أول مرة أسمع عنها .

صـوفـيـا : هذا صحيح ، كيف لك أن تسمع بها ! كانت لعبتى أنا ، تفتق ذهنى عنها ، كنا نجتمع فى الظلام ، ونرى من منا سيخيف الآخرين أكـثر من غيره . وكنا نحكى ونحكى

وكـان بعض الأولاد لا يتحـمل ذلك فينهـار سريعـا ، وكان البعض الآخر يمضى فى سرد قصص مرعبة ، عن مسـوخ وخوارق ، وفى النهاية يكـون كل منا قد أطلق صرخته . ما من أحد كان يصمد حتى النهاية . والآن ، هل ستحكى لى عن كوابيسك ؟

مـيــمى : لا أذكر شيئا منها .

صـوفـيـا : (بلهفة) هيا ، أرجوك ، تذكر .

مـيــمى : (برهة صمت قصيرة . ثم يتكلم ببرود) ذات مرة ، رأيت فى الحلم أن البيت الذى كنت استـأجره آنذاك مع زوجتى ، صار فجأة ممرا .

صـوفـيـا : (بانفعال شديد) ممر ؟

مـيــمى : أجل . صدر أمـر من الحكومة بأن يصـبح ممرا . وصار لمن يشاء أن يفتح الباب ويدخل ، ويمر خارجا من الباب الآخر . ولم يكن يتسع الـوقت لى ولزوجتى ولا حتى أن ننهض من الفراش ، فقبعنا جالسين ملتفين بالملاءات ، وكـان الناس يمرون ، ويمرون . بل أن أحـدهم زحـزح سريرنا كما لو كان ريشة خفيفة ، كى يفسح الطريق .

صـوفـيـا : ليس هذا بالأمـر الجـسـيم . لو أقص عليك أنا مـا أراه ستمـوت من الخوف . إننى أصرخ فى نومى وأسـتيقظ باكيـة ، أنا التى لم أبك يوما قط . (برهة صمت) . أنت تشرب كثيرا .

مـيــمى : هية ؟

صوفيا : أقول أنك تشرب كثيرا . أدمنت منذ رحلت ؟

ميمى : من رحل ؟

صوفيا : زوجتك .

ميمى : الا تكفين عن الإشارة إلى زوجتى . كفى هذه النغمة .

صوفيا : حسنا ، لا تغضب .

ميمى : يروق لك أن تدسّى أنفك فى كل شىء .

صوفيا : لابد أن نقول شيئا حتى يمضى الوقت ، وأنت لا تفتح فمك بكلمة . أتكلم أنا على الدوام . الساعة لازالت الثامنة والربع . ليس من بهجة هنا . كما أن الجو بارد . أصدقاء ، أليس لك أصدقاء ؟

ميمى : لماذا تسألين ؟

صوفيا : معارف يأتون لزيارتك .. ما قولك لو يدق أحدهم الباب ..

ميمى : كلا ، ليس لى أحد . ليس من المتوقع أن يحضر أحد.

صوفيا : لو يدق الباب الآن . ويدلف أحدهم هنا .. أنا لا أصدقك . سنك أربعون عاما ، وليس لك معارف . ألم يتصادف حتى عن طريق زوجتك أن توطدت علاقتك بأحد ؟

ميمى : لم يكن معارف زوجتى يساوون مليما واحدا . كنت أضجر منهم .

صوفيا : ولا فى الدكان الذى تعمل به ، التقيت بأحد ؟

ميمي : ما من أحد لائق . المستخدمون منشغلون بعملهم . والزبائن يأتون ، ينبشون المعروضات ، يسألون عن هذا الشيء أو ذاك ، ثم ينصرفون .

صوفيا : ولكن ماذا تفعل طوال النهار ، وأنت وحيد هكذا ؟

ميمي : أذهب إلى عملى ، وأعود منه ، وأنام .

صوفيا : وعندما يكون لديك إجازة ، مثل الآن ؟

ميمي : أخرج فى جولة ، إذا كان الجو طيبا .

صوفيا : أين تذهب ؟

ميمي : أذهب بعيدا ، بعيدا عن المدينة . إلى ناحية الحصون . أنت لا تعرفينها . المكان جميل هناك . أمشى كثيراً . أحب المشى . أصعد عاليا عاليا وأتأمل المدينة تحتى . المنظر هناك بديع ، وعلى الأخص عند الغروب .

صوفيا : وإذا كان الجو مطيرا ؟

ميمي : أجلس هنا ، وأقرأ .

صوفيا : ماذا تقرأ ؟ لا أرى كتابا واحدا .

ميمي : وضعتها كلها فى صندوق . وبعضها متناثر هنا وهناك .

صوفيا : أنا لا أقرأ ابدا . لا تروق لى القراءة . عندما أفتح كتابا أنزلق إلى التفكير فى أمورى ، ويحدث لى هذا أيضا فى السينما . ما إن يبدأ الفيلم حتى تنتابنى الرغبة فى الانصراف . (تتنفض) .

ميمي : ماذا حدث لك ؟

صوفيا : لاشيء . هذه الغرفة . . ألا يخيل لك أن الضوء فيها قد خفت ؟

ميـــمى : ربما بسبب المطر .

صـــوفيـــا : مـاذا سنفعل لو انـطفأ النور تماما ؟ هل لديك شـمعـة احتياطية ؟

مـــيـــمى : سنجد شيئـا نستضىء به (برهة صمت . تذهب صوفيا ضجرة إلى النافذة . وتنظر خارجا . يتمتم فجأة شارد البال) أما عن الأصـدقاء الذين تتحدثين عنهم فقد كان لى منهم كثيرون .

صـــوفيـــا : (تستدير نحوه دون اكتراث) وماذا حدث لهم ؟

مـــيـــمى : (ماضيا فى تمتمته وشرود باله) لا أدرى . رحل بعـضهم . واختـفى الآخرون . مـضت سنون دون أن أراهم . كنا نلتقى فى مقهى فى «كمارا» .

صـــوفيـــا : (ماضية فى ضجرها وعدم اكتراثها) وما «كمارا» هذه أيضاً ؟

مـــيـــمى : (يستدير وينظر إليها) سفينة ، من القرن الثالث الميلادى.

صـــوفيـــا : لا تحدثنى عن التاريخ . لا أذكر منه شيئا .

مـــيـــمى : مقهى «القـمر الجميل» هكذا كانوا يطلقون عليه . فقد علق عند مدخله مصباح على هيئة قمر نصفى .

صـــوفيـــا : كنت تتردد أذن على المقاهى .

مـــيـــمى : إننى لا أتكلم عن الحاضـر . هذا الذى أقوله لك حدث منذ سنين . ولـم يكن «القـمر الجـميل» مـثل غيـره من المقاهى . على الحائط علقت مرآة كبيرة ذات إطار ذهبى .. ثبـتت فى زواياها بطاقـات من ورق البردى تصـور مناظر طبيعية . كما علقت أيضا صورة لسارة ليناندر فى ملابس الرجال .

صوفيا : المقاهي في ألمانيا مزودة بأثاث فاخر و . . (تتوقف لأن ميمي قد شرع يتكلم) .

ميمي : كانوا جميعا يحضرون إلى هناك. لم يكن يتخلف أحد . يجلسون متجاورين في صف واحد . أكاد أراهم . ميلتوس ، إيلياس ، يورغوس ، ميخاليس ، ماريا . كنا نبقى إلى وقت متأخر ، متأخر جدا . فكان النعاس يغلب الساقي . وفي بعض الأحيان كان يقترب ويتسمع حديثنا . لم يكن يفهم شيئا كان صبيا ، في الثانية عشرة من عمره .

صوفيا : بين الحين والحين كنت أذهب وأرقص . ومرة واحدة ، مرة واحدة فحسب ، ذهبت إلى حفل راقص كبير . عزفت فيه الموسيقى أوركسترا حقيقية .

ميمي : لم نكن نروق لصاحب المقهى . كنا نثير صخبا كثيرا . كان يقول تثيرون صخبا كثيرا ، وستدق أعناقكم يوماً ، آن أوان أغلاق المقهى . كنا آخر من ينصرف على الدوام. (تنظر إليه صوفيا باهتمام كبير الآن) أجل ، في ذلك الحين ، كان لي أصدقاء كثيرون .

صوفيا : حسنا . (برهة صمت) وماعدت تراهم الآن ، من وقت لآخر ؟

ميمي : (محادثا نفسه) نادراً . منذ سنة التقيت مصادفة بأحدهم، في الطريق عرفته منذ أول وهلة ، أما هو فلم يعرفني . أحتاج أن اخبره باسمي ، حتى يتذكرني (تبتعد صوفيا عن

النافذة . تأتى إلى مرآة قديمة ذات إطار ذهبى معلقة إلى اليسار . تتأمل صورتها المنعكسة على اديمها) كان قد خطا فى الطريق الصاعد . كون ثروة . شىء غامض كيف تأتى له ذلك . افتتح منتدى فخما على مقربة من البحر . يلتقى فيه صفوة القوم كل ليلة . (قربت صوفيا وجهها من المرآة ومضت تتحسسه باناملها) سر كثيرا بلقائى . هكذا قال . وذكر لى أنه بدوره ماعاد يرى أحدا من القدامى . أخبرنى أن إحدى فتيات الصحبة صادفته أمام بيته ذات مرة ، لكنها تظاهرت بأنها لم تره . أحزنه ذلك كثيرا . إنها ماريا . كان اسمها ماريا آنذاك ، كنا نعرفها جميعا بهذا الاسم .

صوفيا : كنت أعرف فتاة اسمها ماريا ، وكنا نناديها مارا .

ميمى : قال أن حالها قد ساء . إبيض شعرها. وتهدّل ثدياها . تأثّر كثيرا لما رآها ، لكن تحاشيها له أحزنه أكثر . كما قال لى إنه ليس سعيدا ، وزوجته لاتنجب له أولادا، وهى تعانى من مرض يجعل عرقها كريه الرائحة، حتى أضحى الرقاد إلى جوارها عذابا لايطاق.

صوفيا : (تنصرف من المرآة) الساعة لازالت الثامنة والنصف.

ميمى : (يغضب فجأة) ماذا تريدين فى النهاية ؟ تروحين وتجيئين طوال الوقت ! اجلسى فى مكان واحد !

صوفيا : كان من الأفضل الا أجىء إلى هنا الليلة . أجل كان ذلك أفضل ! سحقاً لكل شىء ! كنت سأدفع مال أسبوع وأستأجر هذه الليلة غرفة فى فندق غالى السعر .

هذه الفنادق شيء آخر . كنت سوف انزل إلى قاعة الفُندق وأشاهد الناس . لكنني جئت هنا ، وانتهى الأمر. فات الوقت . إلى أين أجرى في هذا المطر ، لن أوفق أبدا في الخروج من هذه الأزمة ، وأصل إلى قلب المدينة .

ميمي : ولماذا تريدين أن تنصرفى ؟

صوفيا : لا يروق لى الجو هنا! هذا هو السبب ! شيء ما يطبق على صدرى، يعتصر قلبى ! أختنق ! وفضلا عن ذلك فأنت ضجر منى . أرى ذلك . لا تعيرنى انتباها . إما أن تتحدث إلى نفسك أوتغلق فمك . لا أفهم لماذا دعوتنى ، مادمت منذ أول لحظة قد سئمت منى . وهذا الضوء يزداد خفوتا كلما تقدم الوقت . تنتابنى الرغبة فى أن أخرج إلى عتبة السلم وأطرق بابا ، أى باب ألقاه! أتعرف أن وقت الطعام قد حان ؟ لابد أنهم فى الشقق الأخرى يتأهبون للجلوس إلى المائدة .

ميمى : سألتك من قبل ، فقلت لى أنك لست جائعة .

صوفيا : تفهم جيدا ما أقول ، وليس لى رغبة فى أن آكل ، وأنا أرى وجهك الجهم . آه ، اسمع ! سأصعد إلى الدور العلوى . حقا ! سأدق باب هذه العجوز التى دعتنا إلى شرب الشاى مع ابنتها .

ميمى : الزمى صوابك . لا تستطيعين أن تذهبى إلى هذا البيت.

صوفيا : أستطيع ذلك. وأستطيعه جيدا . سوف يسران لرؤيتى . سأقول لهما : جئت أنعم بصحبتكما .

ميمي : قلت لك : لا تستطيعين .

صوفيا : أتقول ذلك ؟ ها أنا ذاهبة إذن (تخلع ثوبها بحركة مفاجئة . بينما يحاول ميمي أن يثنيها عن ذلك) .

ميمي : لا تكوني حمقاء .

صوفيا : سأذهب ، سأذهب ، سأذهب ! (يمسك ميمي بذراعها) دعني ، أنت تؤلمني ، سأذهب في زيارة قصيرة وأعود. اتفقنا ؟

ميمي : قلت لك ليس باستطاعتك أن تذهبي . اسمعي ، هذه المرأة مجنونة .

صوفيا : مجنونة ؟

ميمي : مجنونة . كيف أعبر لك عن ذلك . إنها مختلة العقل.

صوفيا : تكذب علي . لا أصدقك .

ميمي : كل من في البيت يعرفها . . أول ما يجب أن تعرفيه أنه ليس لها ابنة ، بل لم يكن لها ابنة قط .

صوفيا : لا أفهمك .

ميمي : (يبتعد . يتناول قدحه من جديد) كان لها ابن قتلوه أثناء الاحتلال أمام عينيها ، فاختل صوابها . فهمت الآن ؟ نسيت ابنها المقتول . وخيل إليها منذ ذلك الوقت أن لها ابنة تجول في البيت ، وتستقبل الناس ، وتخبز الفطائر.

صوفيا : (غير متأكدة) مستحيل هذا . أنت تسخر مني .

ميمي : أقول لك يعرفها الجميع هنا . تتنقل بين الشقق نازلة صاعدة وتزعج هذا تارة ، وتزعج ذاك تارة أخرى .

صوفيا : (تجلس على الأريكة بحركة آلية)ما كان يجب أن تقول لى هذا . حزنت من أجلها .

ميمى : ما كنت سأخبرك لولا أنك أصررت على ذلك كثيرا .

صوفيا : تصور ! أى أشياء يسمعها المرء إذن ، ما دام الأمر على هذا النحو ، فهنا أفضل . ها هو يخفت مرة أخرى .

ميمى : ما الذى يخفت ؟

صوفيا : الضوء .

ميمى : يخيل إليك ذلك .

صوفيا : قتلوا كثيرون آنذاك - أليس كذلك ؟ - فى زمن الاحتلال . لم أكن قد ولدت بعد . أما أنت فلابد أنك كنت شابا . ماذا كنت تفعل ؟ هل كنتم تقاسون كثيرا ؟

ميمى : اختلف الأمر .

صوفيا : ماذا يعنى «اختلف الأمر» ؟

ميمى : قاسى البعض ، والبعض الآخر لم يقاس .

صوفيا : وأنت كيف أمضيت تلك الحقبة .

ميمى : أنا . . كنت أدرس الهندسة الكهربائية .

صوفيا : صحيح ؟ ولم تكمل دراستك ؟

ميمى : كلا .

صوفيا : وبعد ؟

ميمى : لم يكن ثمة «بعد» ؟

صوفيا : ماذا فعلت بعد ذلك ؟ كيف امضيت كل هذه السنين . لماذا هجرت الهندسة الكهربائية ؟

ميمي : متاعب . . (يزداد انفعاله) .

صوفيا : اتعرف ؟ تجيبنى على كل ما أسألك بأنصاف إجابات . لا يمكن لحديث أن يتصل هكذا . (تهب واقفة) سئمت . سئمتك !

ميمي : لا تهبى واقفة هكذا ، كل لحظة .

صوفيا : سأرحل ، وليحدث ما يحدث .

ميمي : ستبقين هنا ، كما اتفقنا . وفى صباح الغد ، ستأخذين حقيبتك وترحلين . ها هو سريرك ، ارقدى ونامى ، إذا أردت . سأذهب إلى المطبخ .

صوفيا : ليس لى رغبة فى النوم . ولكن ماذا تريد منى فى النهاية ؟ أى إنسان أنت ؟ يخيل إلى أنك لست فى صوابك . . إلا إذا كنت . . حسنا ، إذن ، سأبقى ولكن ستحادث . استمع ؟ لست مجرد متاع تجلبه إلى هنا ، وتتركه مهملاً فى الركن ! ستحادث !

ميمي : وهل لدينا ما نتحادث فيه ؟

صوفيا : لدينا الكثير . قبل كل شيء ، لماذا انفصلت عن زوجتك؟

ميمي : إنها حكاية معقدة .

صوفيا : ها قد عدت إلى الكلام المنقوص . كم سنة عشتما معا؟

ميمي : عشر سنوات .

صوفيا : لابد أنها كانت امرأة دميمة . هية ؟

ميمي : كيف خطر لك مثل هذا الخاطر ؟

صوفيا : هكذا . دميمة وعجوز . هذه هى المرأة التى تليق بك . اتعرف على أية هيئة أتخيلها ؟ بجدائل محلولة ، وعينان صغيرتان وأنف مثل منقار طائر !

ميمي : كلا ، على الإطلاق. كانت فائقة الجمال .

صوفيا : دميمة ! كانت دميمة ! هذا الثوب يستحيل إن كانت ترتديه امرأة جميلة . الجميلات يرتدين ملابس من الدانتيلا متماوجة الأطراف . ولابد أنها كانت عجوزا . هية ؟ مائة عام !

ميمي : كنا من سن واحدة .

صوفيا : ها أنت تعترف ! صدقت عندما قلت إنها عجوز! ومخبولة ومجنونة وبخيلة ! أجل ، بخيلة . كانت بخيلة على الأخص ! ها ، ها ، ها ، ها ، ها ، (انتابتها حالة شبه هستيرية ، مضت تقفز حوله) يا للحياة السوداء التى كنتما تحيانها معا . لو كنت أعرفكما ما كنت سأضع قدمى فى بيتكما لزيارتكما . كنت سأتقزز حتى من القهوة التى كنتما ستقدمانها إلى . كانت الأقداح ستحمل عليها بصمات .

ميمي : كفى عن السخافات ! ماذا دهاك ؟

صوفيا : تغضب ، هية ؟ اسمع ، هل تريد أن نلعب لعبة ؟ نلعب كي يمضى الوقت ؟ سأتظاهر بأنى زوجتك . (تنكش شعرها ، وتلقى به على وجهها ، وتسير بخطوات متخبطة) وأنت زوجها . تعال قل لى ماذا كنتما تفعلان ، عندما كنتما معا ، ماذا كنتما تقولان ؟

ميمي : كفى ، أقول لك . هل جننت ؟

صوفيا : (ماسة) لماذا طلقتها ؟ قل لى ، قل لى . هل فاجأتها مع عشيق . أم فاجأتك هى ؟

ميمي : لا هذا ، ولا ذاك . كل ما فى الأمر ، إننى ما كنت أصلح للزواج . ما كنت أصلح لشىء على الإطلاق - على الإطلاق وأنى لأكرر عليك القول ، كفى . ليست بى رغبة فى أن أتحدث عن ذلك . . .

صوفيا : ليست بك رغبة ، لأنه ليس لك مصلحة فى ذلك. ليس لك مصلحة فى أن تقول ماذا كان يدور بينكما . أكاد أراكما أمامى . لعلكما كنتما من أولئك الذين يتبادلون الشتائم طول النهار . يتضاربون ثم يرتدون أفضل ملابسهم ويخرجون للنزهة . ولكن ذات يوم ، لم يعد أحدكما يحتمل، ورحل. أليس هذا ما حدث ؟ قل لى من منكما رحل أولا ؟

ميمي : أنا الذى رحلت أولا. لكن لم يحدث شىء مما ذكرته . رحلت لأننى أردت أن أبقى وحدى . فهمت ؟ عشر سنوات فيها الكفاية .

صوفيا : تبقى وحدك كى تتفرغ لأعمالك القذرة ، وتجلب بلا قيد من تشاء من النساء إلى شقتك .

ميمي : أنى لا أجلب إلى شقتى أحدا . أنت أول امرأة وطأت هذا البيت منذ أن استأجرته، وكان ذلك من شهر مضى، ولم أحضرك من أجل هذا الذى تظنينه .

صوفيا : إذن ، لماذا ؟ (برهة صمت) لماذا دعوتنى لأنام هنا الليلة؟

ميمي : لا أدرى . . لا أدرى . . لا تسألينى . . ربما لأننى أشفقت عليك فجأة.

صوفيا : لا أصدقك .

ميمى : أنت محقة . ربما أردت أن أعرف كيف يكون الحال فى صحبة إنسان آخر . طوال هذا الوقت الذى أغلقت على نفسى فيه الباب ، لم أكن أرى مخلوقا .

صوفيا : (ماسة) لماذا اغلقت على نفسك الباب ؟ ما الذى دهاك؟ أتخشى من شيء ؟ فى لحظة خطر ببالى أنك ارتكبت جرما وتختفى بسببه .

ميمى : (ماضيا دون أن يعبرها اكتراثا) طوال شهر مضى ، كنت أفعل ما يروق لى .

منذ اللحظة الأولى ذاتها التى جئت فيها قلت لنفسى : ها أنا فى النهاية وحيد بين جدران أربعة ، دون أن يكون هناك من يطالبنى بحساب . تستطيع أن تتصرف كما يحلو لك ، مادمت وحيدا . تستطيع أن ترتكب حماقات ، أن تسير على أربع . ليس ثمة شهود على ما تفعل . ذات يوم تناولت طعامى جالسا على الأرض ، وفى يوم آخر أكلت بأصابعى دون شوكة أو سكين . وقد ضحكت من ذلك كثيرا .

صوفيا : يا لها من تصرفات بشعة ! ماعدت أطيق أن أسمعك . (تجول فى الغرفة يائسة) يا ألهى ، كم أنا سيئة الحظ على الدوام ، كم أنا سيئة الحظ ! لم ألتق قط بإنسان لائق ، سواء أكان رجلا أو امرأة .

ميمى : (يمضى خلفها) اسمعى . هيا ، اسمعينى . . .

صوفيا : (ماضية فيما كانت عليه) قمت بسفر طويل . يسمع الآخرون أنى كنت بألمانيا ، فيقولون ما أجمل الحياة هناك ، أما أنا فقد ذقت فيها الأهوال . . .

ميمى : هل ستتركينني أكمل كلامى ؟ كانت زوجتى تعزف على البيان . كانت تحبه كثيرا . كانت مفتونة به . تجلس وتتدرب عليه ساعات طوال .

صوفيا : فلتفعل ما تشاء ، ما الذى يعنينى ؟

ميمى : وطوال إقامتنا فى دار أبيها الذى كانت به غرف عديدة كان الوضع محتملا . كان بيتنا جميلا . من طابق واحد . لا يشاركنا فيه أحد . كان أبوها غنيا .

صوفيا : آه ، قل لى هذا ، كانت زوجتك غنية ! من أجل ثروتها تزوجتها .

ميمى : لكننا تشاجرنا مع أبويها العجوزين ، واستأجرنا شقة صغيرة فى إحدى العمارات ، لأنه كان علينا أن نقتصد. لكن ذلك لم يكن سهلا .

صوفيا : آها ، طوال الوقت الذى كنتما تحلبان فيه حماك العجوز كانت تسير الأمور على ما يرام .

ميمى : لا تقاطعينى . ما كنت أقصد ذلك . السكان ، السكان الآخرون من حولنا اشتركوا فى النهاية . ترين أن زوجتى أصبحت مضطرة بعد ترك بيت أبيها أن تقوم بكل الأعمال المنزلية وحدها . كان عليها أن تذهب إلى السوق ، وأن تطبخ . ولم يعد يبقى لها وقت بالنهار لأنها أيضا بطيئة فى أداء الأعمال . ولهذا فقد كانت

تعزف بالليل . كانت تبدأ لنـقل فى العاشرة وتنتهى فى الواحدة ، أو فى الـثانية . . لكن الناس كـانت تريد أن تنام ، وحتى لا يطردوننا ، ولـم يكن الانتـقال إلى بيت آخـر بالأمر الـسهل ومـعنا البـيـان ، قررت أن تعـزف بالنهار، وتقوم بسائر الأعمال ليلا .

صـــوفـيـــا : بكل تأكيد ، كانت زوجتك قد فقدت الصواب !

مـــيـــمى : أليس كذلك ؟ ضـعى نفسك فى مكانــى من فضلك . طوال النهـار البيان يصـدع رأسى ، قلت لك إن الشـقة كانت صغيرة ، تقريبا بحجم هذه الغرفة ، ثم بعد ذلك فى الليـل ، أوه يا إلهى ! جـــعل الليل كى يـلقى المرء بنفسه على سـريره وينام ، وهذه أحلى لحظات العمر ، ولكن كيف يغمض لى عين ، وأنا أحس بهـا تهيم مثل شبح من المطبخ إلى غرفـة المائدة . ترفع وتضع صحوننا وحللا تفـتح وتقـفل صـنابيـر الماء . ورائحـة الطبـيخ المحروق تخرق خياشيمى ؟

صـــوفـيـــا : (تجلس مجهدة وتتنهد) هى تريد أن توهمنى بأنك رحلت عن البيت لأن زوجتك كانت تعزف على البيان !

مـــيـــمى : كلا ، بلاشك ، كلا ، ليس بسـبب ذلك . كانت امرأة مثل عديدات غيرها . سوف كان بإمكانى أن أحتملها ، كما احتملت أموراً أخرى .

صـــوفـيـــا : إذن ، لماذا ؟ لماذا ؟

(برهة صمت . يبتعد ميمى ويتناول قدحه من جديد) .

ميـــمى : (بلهجة هادئة) لأنه جاء . جاء ذلك الـشاب . كان يجىء ويجىء . كان يعرف أين أقـيم ، يعرف أين كان بإمكانه أن يجدنى .

صـوفـيـا : أى شاب هذا ؟ عمن تتكلم ، مرة أخرى ؟

ميـــمى : كان الوقت ليـلا ، حوالى الثامنة - كنت قـد عدت من عملى توا . جلست بجوار النافذة . أتابع الأولاد الذين يلعـبـون فى الميـدان . لم أكن أفـكر فى شىء . كنت أدخن . كنت أحس بالتـعب ، بتـعب شديد . كـانت ساقـاى تؤلمانى عند المفـاصل - وهى تؤلمنى دائما كلـما تغـيرت الفـصول . هنـا ، تحت ، وعند الركبـة . فى لحظة دخلت زوجتى وأضاءت النور . كانت تحمل كومة من الثيـاب ، شرعت تطويها كى تـكويها . وعندئذ ، دق الجـرس . فـجـأة . نهـضت . وذهـبت أفـتح . كان هو .

صـوفـيـا : من ؟

ميـــمى : أقول لك هو . الشاب ! وقف عند الباب ، وقال لى : «إنى قادم من عند أخيك فى المصحة» قلت له «ليس لى أخ فى المصحة . ليس لـى أخوة على الإطلاق» قال لى «لكن كـلا . ليست هذه هى الإجـابة . كلمة الســر ، تذكرها ، كلمة السر .»

صـوفـيـا : أى كلمة سر ؟ أى إجابة ؟

ميـــمى : كانت الإجابة «مقهى القمر الجميل يسهر حتى الصباح».

صوفيا : لا أفهم شيئا .

ميمي : «لا أفهم شيئا» هذا ما قلته آنذاك . وأردفت أقول «لابد أنك تبحث عن شخص آخر» قال لي «ليس لدى وقت أضيعه . ميلتوس موجود هنا . ميلتوس . وهو يريدكم أنتم القدامى» أتسمعين؟ «أنتم القدامى» أجبته «اسمى ديمتريوس كيسوبولوس . وهذه زوجتى . أعمل فى دكان لبيع التحف القديمة ، وأتقاضى عمولة . لا أعرف ماذا تقصد» فقال لى وقد بدا عليه الاضطراب «حسناً جداً . سوف أعود . أفهم . لا تستطيع الآن ، ولكن تذكر أننى بعد قليل سأعود» .

صوفيا : (تنهض تمسك رأسها بيديها) أريد أن أضع لقمة فى فمى . إنى جائعة . وبدأ يحل بى النعاس .

ميمي : (يمضى ويقف خلفها) وعاد مرة أخرى . جاء إلى فى الدكان هذه المرة وبصحبته ماريا . كان شعرها قد أبيض كله تقريبا . وكان الشاب يتحدث من جديد عن ميلتوس . كان يقول «غاب ميلتوس عشرين عاما . اختفى عشرين عاما . خسر عشرين عاما ، ولكن الآن يجب أن يفعل شيئا» وكانت ماريا تثبت أنظارها فى عينى .» وقلت «وماذا تعتقد أننى كسبت ؟ لم أضح سوى مستخدم فقير» وقالت ماريا «إننا لا نطالب بأعباء» فقلت «أما أنا فأطالبكم . زوجتى تعذبنى . مرة كل أسبوع أصطحبها إلى السينما ، وفى أمسيات الآحاد نتناول العشاء فى

حانة قريبة . إنها تعانى من معدتها ، وتوقظنى بالليل لأحضر لها أقراصا من الصيدلية . أهذه حياة؟ أهى حياة هذه ؟ إنى أسألكم ؟ كلا ، إنها ليست حياة . إذن ، اتركونى هادئا» .

صوفيا : إنى جائعة . معدتى تشدنى .

ميمى : «سنمر غدا» كانت هذه هى الإجابة (بصوت مختنق) فقلت من داخلى سأرحل . سأرحل من البيت ومن الدكان ، ولن تجدوننى فى أى مكان .

صوفيا : أحضر لى شيئا إذن . أو قل لى أين الطعام كى أعده بنفسى .

ميمى : (بضراوة) كفى !

صوفيا : قليل من اللبن ، على الأقل ، قليل من اللبن الدافىء وكسرة خبز .

ميمى : كفى ، قلت لك !

صوفيا : أبقيتنى هنا عنوة ، وتتركنى الآن جائعة . أحضر لى شيئاً آكله .

ميمى : (يمضى منكبا عليها) ماذا قلت ؟

صوفيا : أحضر لى شيئا آكله . (يتراجع) .

ميمى : أعيدى قول ذلك !

صوفيا : (جزعة) لماذا تنظر إلى هكذا ؟ لما أقل شيئا سيئا . (يتراجع) ماذا ستفعل بى هيه ؟ سأصرخ .

ميمى : إنى أنظر إليك .

صـــوفـيـــا : ساصرخ .

مـــيـــمـى : انى أنظر إليك .

صـــوفـيـــا : لماذا تنظر إلى ؟

مـــيـــمـى : أريد أن أرى كـيف يكون الحـال عندما يوجـد بجـانبك إنسان من جديد ، يشاركك غـرفتك ، ويرهقك بثرثراته الحمقاء . يحس بالبرد ، يتدفأ ، يريد أن يفتح النافذة ، يريد أن يذهب فى جولة ، يشـعر بالجوع (يشرع فى التقدم نحوها) .

صـــوفـيـــا : (تتراجع) مجنون أنت ، أم سكران ؟

مـــيـــمـى : فهمت الآن لماذا أحضـرتك ؟ كى أراك ترحلين . قضينا ساعـة معـا . سنقضى سـاعات أخـرى حتى منتـصف الليل. ثم سـتنامين حتى الصـباح . سـتتجولـين قليلا بالثوب المنزلى . ستدخلين الحمـام . ستحدثين جلبة . سـتسـألين عـشرات المرات ألا زالـت السمـاء ألا زالت تمطر، أم توقف المطر ؟ ستسـألين لماذا طلقت زوجتك ، لماذا تخليت عن دراسة الهندسة الكهربائية . .

صـــوفـيـــا : لا تقترب منى !

مـــيـــمـى : ماذا سنأكل اليـوم ، ما هو المرتب الذى تتقـاضاه ، كم تدفع من إيجار ، ماذا فعـلت أثناء الاحتلال ، ما الذى فـعلت طوال هذه السنين . سـتسـألين ، عن كل شيء ستسألين . ولكن فى النهاية ستأخذين حقيبتك وترحلين سأغلق الباب خلفك ، وستـصبح هذه الغرفة ملكى من

جديد ، لن يحضر أحـد هنا . لن يعثر على أحد . لن يعثروا على أبدا . أبدا .

صــوفـيــا : لا تقترب منى ، أنت مجنون !

مــيـــمى : عشـرون عامـا ، شىء كثيـر . لن نبدأ منذ الـبداية من جديد .

صــوفـيــا : لا تتهور فتلمسنى . أنا قاصر .

مــيـــمى : أنت تعرفين الآن كل شىء .

صــوفـيــا : سأصرخ .

مــيـــمى : لا تصرخى . لن أفعل بك شيئا .

صــوفـيــا : النجدة !

مــيـــمى : (يرجها بعنف) لن أمسك بشىء .

صــوفـيــا : النجـ . . (يدق الجرس . يبقى الاثنان متسمرين) الجرس .

مــيـــمى : هل يعرف أحد أنك جئت هنا الليلة ؟

صــوفـيــا : كلا .

(يدق الجرس من جـديد بإصرار . برهة صمت . يتبادلان النظرات . ثم يمضى إلى الباب باضطراب داخلى شـديد . ولكن بثبات . تدخل العـجوز وهى على الدوام حلوة هادئة وناعمة . كل ما فى الأمر أنها الآن لا تبتسم) .

العــجـوز : هل جـرى شىء ؟ مـعذرة إذ اضـايقكمـا فى مـثل هذا الوقت . لكننى أرجـوكما لا تحـدثا جلبة (ينظر إليهـا ميمى وصوفيا محبطين من جراء المشهد السابق) . إنى وحيدة ، وأجزع. إنى وحيـدة . نامت ابنتى مـبكرة الليلة . أغلقت على نفسها باب غرفتها ونامت . أنها كما تعرفان تعسة جدا،

لا يحضر أحد لرؤيتها أبدا . ما من أحد يطلب منها أن تخرج معه . من الأفضل لها أن تنام . وإلا فإنها تجلس فى ركن من الأركان وتبكى . تبكى بلا انقطاع . . ولهذا أرجوكما - لا تحدثنان جلبة ستوقظانها - هس. . هدوء . (تحنى رأسها إلى أسفل قليلا) طاب مساؤكما.

(تخرج) .

صوفيا : (تغطى وجهها فجأة ، لكن دون بكاء) لا أطيق ، لا أطيق هذه المرأة تجوس هنا .

(يستدير ميمى وينظر إليها ، كما لو كان يراها لأول مرة حقا) .

ميمى : سأذهب لأعد لك شيئا تأكلينه .

صوفيا : (تخفض يديها من على وجهها . تحاول أن تسترد هدوءها) ماعدت أشعر بالجوع .

(تنهض . تخطو بضع خطوات بلا هدف . يتابعها ميمى بنظراته) .

ميمى : سترحلين أم ستبقين ؟

صوفيا : لا أستطيع الرحيل . كذبت عليك عندما قلت أن معى نقودا . أنى لا أحمل سوى تذكرتى إلى أثينا .

(صمت)

ميمى : هل أنت متأكدة أنك لا تريدين طعاماً ؟

صوفيا : بى رغبة شديدة إلى النوم . إنى متعبة من السفر .

ميمى : حسنا ، إذن ، ها هو سريرك . سأعد لنفسى فراشا فى المطبخ .

صوفيا : لعلك . . تفضل أن تنام هنا . سأذهب أنا إلى هناك .

مــــيـــمى :   كلا . . . طابت ليلتك .

(يخرج . تبقى صوفيا وحدها . تأخذ بحركات بطيئة فى إعداد الأريكة . وفجأة تخر على الأرض وتشرع فى البكاء بحرقة) .

ستار